مجلة المحترف لعلوم الرياضة و العلوم الانسانية والاجتماعية
المجلد (09) العدد (02) السنة (2022)
الصفحة 260-272

المواسم الدينية والتماسك الاجتماعي بين الثبات والتغير

Religious seasons and social cohesion between stability and change

عبدالله جعلاب [1*]، رشيد بوسعادة [2]

[1] جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)،
djaabdellah@gmail.com

[2] جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)،
boussaadadz@yahoo.fr

معلومات البحث

تاريخ الاستلام: 2022/03/09
تاريخ القبول:2022/06/14

Printed ISSN: 2352-989X
Online ISSN: 2602-6856

الملخص:

يهدف البحث الى تسليط الضوء حول قضية الحفاظ على التماسك الاجتماعي و هي من القضايا المحورية في عصرنا الحاضر، وذلك على اعتبار أن المجتمع أصبح يتعرض لأنماط ومستويات من الضغوط التي تهدد ترابطه وتماسكه، وتدفعه إلى مواجهة مصير التفكك والتشتت، وإذا تأملنا الأوضاع في مجتمعنا في الفترة الأخيرة نجد أن المجتمع قد تعرض لمتغيرات داخلية وخارجية عملت على تفكيكه وباتت تهدد تماسكه.

خلص البحث إلى أنّ للمواسم الدينية دور هام في ترابط أفراد المجتمع من خلال تكرار وإحياء هذه المواسم كل سنة ومن خلال الاحتفالات بالبعض منها والتي تعد ظاهرة اجتماعية ثقافية وكذا تربوية تؤثر بصفة عامة على أفراد المجتمع.

الكلمات المفتاحية: المواسم الدينية، التماسك الاجتماعي، الطقوس الدينية.

ABSTRACT

The research aims to shed light on the issue of preserving social cohesion from the central issues of our time, given that society is exposed to patterns and levels of pressures that threaten its interdependence and cohesion, and push it to face the fate of disintegration and dispersal, and if we reflect on the conditions in our society in the recent period, we find The society has been exposed to internal and external changes that have dismantled it and threatened its cohesion.

The research concluded that religious seasons have an important role in the interdependence of community members through the repetition and revival of these seasons every year and through celebrations of some of them, which are a socio-cultural as well as educational phenomenon that generally affects community members.

Keywords: religious seasons, social cohesion, religious rituals.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

يعتبر الدين نظامًا للحياة بل يعتبر من أهم الأنساق الاجتماعية المؤثرة في كافة الأنساق الأخرى، هذا بالإضافة إلى أنه عنصر فعال وأساسي في تكامل الثقافة وتجانسها وخاصة بالنظر إلى أن وظيفته تنحصر أساسا في صياغة قوانين ومعايير السلوك الاجتماعي من حيث تحديد واجبات الإنسان نحو الله ونحو نفسه ونحو أفراد مجتمعه، فالدين يضم مجموعة من المعتقدات والممارسات في نسق شامل يحقق القداسة للأشياء المحرمة، وهذه المعتقدات توجد بين الأفراد وتخلق مجتمعا أخلاقيا، أي الإسهام الجمعي في المعتقدات يعتبر شرطا أساسيا لوجود الدين.

و عليه نحاول من خلال هذه الورقة البحثية فهم جزء مما يحدث في مجتمعنا من أفعال وممارسات طقسية في فضاء وداخل محيط المجتمع، بغية التوصل إلى أثر تلك الممارسات في تماسك أفراد المجتمع واستقراره محاولين البحث عن الدلالات الحالية لمثل تلكم المواسم وعن أثرها في تماسك أفراد المجتمع، لذا كان محور سؤالنا هو:

كيف ينعكس إحياء المواسم الدينية على استقرار المجتمع وتماسكه ؟

2. ماهية المواسم الدينية

1.2 مفهوم الموسم :

المفهوم اللغوي :

الموسم مفعل من فعل وسم، والوسم أثر الكي والسمة والوسام، ما وسم به البعير والجمع وسوم، واتسم الرجل إذ جعل لنفسه سمة يعرف بها، والجمع مواسم ومياسي (ابن منظور، 1414، ص 635)، والوسمي مطر أول الربيع، وهو بعد الخريف لأنه يسم الأرض بالنبات فيصير فيها أثرا في أول السنة، وأرض موسومة أصابها الوسمي (ثياقة، 2014، ص 70) والسمة هي العلامة من الشيء، وموسم الحج سمي موسما لأنه معلم يجتمع إليه الناس، ويقال كذلك وسموا بمعنى شهدوا الموسم، أي حضروا ذلك الجمع (ابن منظور، 1414، ص 636)، والسوق والموسم يلتقيان في الأصل اللغوي العربي، فكلاهما يطلقان على نفس التجمع حيث كانت المواسم أسواق العرب في الجاهلية، قال إبن سكيت كل مجمع من الناس كان هو موسم ومنه موسم منى، ويقال وسمنا موسمنا أي شهدناه.(ابن منظور، 1414، ص 136).

المفهوم الاصطلاحي:

يعد الموسم أولا وقبل كل شيء حفلا دينيا يجمع الأشخاص الذين يأتون في بعض الأحيان من مناطق بعيدة لإحياء حفلات أو مناسبات دينية أو دنيوية، ومن بين أشهر المواسم نجد موسم الاحتفال الديني المخلد لذكرى ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم وكذا عيدي الفطر والأضحى وعاشوراء وشهر رمضان.

2.2 مفهوم الدين :

الدين في اللغة :

الدين في اللغة مشتق من الفعل الثلاثي: (دان)، وهو تارة يتعدى بنفسه، وتارة باللام وتارة بالباء، ويختلف المعنى باختلاف ما يتعدى به، فإذا تعدى بنفسه يكون (دانه) بمعنى ملكه، وساسه، وقهره وحاسبه، وجازاه، وإذا تعدى باللام

يكون (دان له) بمعنى خضع له وأطاعه وإذا تعدى بالباء يكون (دان به) بمعنى اتخذه ديناً ومذهباً واعتاده، وتخلق به، واعتقده. (دراز، 1952، ص ص 30-31).

هذه المعاني اللغوية للدين موجودة في (الدين) في المعنى الاصطلاحي كما سيتبين لأن الدين يقهر أتباعه ويسوسهم وفق تعاليمه وشرائعه، كما يتضمن خضوع العابد للمعبود وذلته له، والعابد يفعل ذلك بدوافع نفسية، ويلتزم به بدون إكراه أو إجبار.

الدين في الاصطلاح:

اختلف في تعريف الدين اصطلاحاً اختلافاً واسعاً حيث عرفه كل إنسان حسب مشربه، وما يرى أنه من أهم مميزات الدين، فمنهم من عرفه بأنه (الشرع الإلهي المتلقَّى عن طريق الوحي) وهذا تعريف أكثر المسلمين، ويلاحظ على هذا التعريف قَصرُهُ على الدين السماوي فقط، مع أن الصحيح أن كل ما يتخذه الناس ويتعبدون له يصح أن يسمى ديناً، سواء كان صحيحاً، أو باطلاً، بدليل قوله عز وجل: وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ [آل عمران: 85]، وقوله عز وجلَّ: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ [الكافرون: 6]، فسمَّى الله ما عليه مشركي العرب من الوثنية ديناً.

أما غير المسلمين فبعضهم يخصصه بالناحية الأخلاقية كقول (كانت) (بأن الدين هو المشتمل على الاعتراف بواجباتنا كأوامر إلهية). (المنجد في اللغة والأعلام، 1997، ص 513).

وبعضهم يخصصه بناحية التفكر والتأمل كقول (رودلف إيوكن): (الدين هو التجربة الصوفية التي يجاوز الإنسان فيها متناقضات الحياة) (دراز، 1952، ص ص 33-36) إلى غير ذلك من التعريفات التي نظرت إلى الدين من زاوية، وتركت أوجهاً وزوايا عدة.

مفهوم الدين في الفكر السوسيولوجي الغربي :

حتى يتسنى لنا إدراك مفهوم الدين في الفكر الغربي يمكننا أن نتعرض إلى بعض تعريفات العلماء الغربيين الخاصة بالدين، فهناك من العلماء من عرفه على أنه البرهان الأساسي للوجود الإنساني والمتمثل في المولد والمرض والموت، ويعرفه آخرون بأنه : نسق من الأفكار، والتجارب، وقواعد السلوك التي ترتكز على الاعتقاد في الإله، أو حقيقة فوق طبيعية ومن بين تعريفات العلماء الغربيين للدين نجد:

تعريف سبنسر *Spencer* و فيه يقول" الدين هو الإحساس الذي نشعر به حينما نغوص في بحر الأسرار"

ويذهب شيلرماخر *Chelmakhar* إلى أن الدين هو خضوع الإنسان لموجود أسمى منه "

ويرى فيرباخ *Feurbach* أن الدين هو الغريزة التي تدفعنا للسعادة، ويعترض على هذه التعريفات أنها فردية ولا تتجه إلى تبيان عمومية المظاهر الدينية" (حسين عبد الحميد، 2012، ص 173).

ويعرفه سيسيرون *Sisiron* المشرع الروماني في كتابه حول" القوانين " : " أن الدين هو الرباط الذي يصل الإنسان بالله " ويذهب المفكر الفيلسوف النقدي الألماني ايمانويل كانت *kant* في دراسة له بعنوان "الدين في حدود العقل" إلى أن الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية.

ويذهب تايلور *Taylor*)علماء الأنتربولوجيا الثقافية) في دراسة له بعنوان" المبادئ الأولى " إلى أن الدين هو الاعتقاد بوجود قوى غيبية غير مشخصنة (السامالوطي، 1981، ص.ص 24-25).

وقد طرحت المدرسة الفرنسية بزعامة دوركايم تصورا خاصا للدين يقوم على أساس التمييز بين جانبين في كل دين هما : قسم العقائد، وقسم العبادات، كما شدد على الناحية الديناميكية في الشعور الديني (ويليم، 2001، ص30). وما ميز تصور دوركايم للدين ما يلي:

يرى دوركايم *Durkheim* أن الدين هو نظام متضامن من المعتقدات" والممارسات المتعلقة بالمقدسات أي المنفصلة والممنوعة وإن هذه المعتقدات والممارسات توحد جميع من يعتنقها في مجتمع معنوي واحد يسمى الكنيسة (*Durkheim,2014, p65*)، ويركز دوركايم أيضا على أن الجماعة هي المسئولة الأولى عن تكوين الدين والأخلاق والتعبير عنها رمزيا وبتغير هذه الجماعة يتغير الدين أيضا.

ويضيف دوركايم " :إن الدين من الناحية الوظيفية يستند ويدعم بناءا اجتماعيا معينا عن طريق منع الانحراف وتحديد مجريات التغير، وكذلك بإعطاء سلطة مطلقة ومقدسة للقواعد والقيم الثابتة للجماعة" ، كما أن الدين كذلك حسبه مستمد من التضامن الاجتماعي من ناحية، فضلاعن أنه يعضده من ناحية أخرى، إذ يعبر عن ولاءات الجماعة، ويعمل على استمرارها، ويضيف أن نمو المجتمعات في الحجم من خلال الاحتكاك المتبادل والتقدم العلمي الحاصل، يجعل الناس يميلون إلى الانتقال من عبادة الطوطم – طوطم القبيلة – أو أرواح الأسلاف إلى آلهة المدينة أي مفهوم الإله الواحد الذي يحكم كل الخلق، ولكن التجربة التي تصاحب المشاعر الدينية تضل تجربة معيشة في جماعة خاصة، بما تحتويه من تراث وقواعد وقيم خاصة (طارق، 2009، ص 84) ويمكننا من خلال الدراسة الميدانية لهذا البحث دراسة ظاهرة دينية متمثلة في الاحتفال بالمواسم الدينية التي تعيشها جماعات لها ممارسات متعلقة بالمقدسات المستمدة من التضامن الاجتماعي، والتي سوف نتناولها بالتحليل لاحقا.

ومما سبق نتوصل إلى أن الدين في الفكر الغربي عموما هو إحساس وغريزة تدفع الإنسان نحو السعادة، وهو رابط يصل الإنسان بالله ويجعله يؤمن بالقوى الغيبية، ويحدد واجبات الفرد، كونها قائمة على أوامر إلهية،كما أنه نظام متضامن من المعتقدات والممارسات الجماعية المسئولة عن تكوينه والمستمد من التضامن الاجتماعي .

مفهوم الدين في الفكر الإسلامي :

نحاول فيما يلي سرد بعض التعريفات العامة التي يمكننا من خلالها التوصل إلى مفهوم عام للدين والتي من بينها تعريف حسن حنفي في كتابه)في الثقافة السياسية) :يرى أن الدين هو نظام حياة للفرد والأسرة والمجتمع والإنسانية جمعاء، هو تصور كامل للحياة ينبثق منه نظام للمجتمع متفق مع نظام الكون الدين وسيلة وليس غاية في ذاته طريق لإسعاد البشر لا لتبرير الشقاء مفجر لإبداعات البشر من خلال الاجتهاد والتعبير الحر والقدرة على الجهر بالحق وليس أداة خوف وقهر وحرمان (حنفي، 1998، ص 302)، فالدين بذلك يعد نظام للحياة بفضل الالتزام به تكون سعادة البشر .

تعريف التهناوي : هو" وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل، وهذا يشمل العقائد والأعمال وأطلق على ملة كل نبي وقد يخص بالإسلام كما في قوله تعالى (إنّ الدين عند اللهِ الإسلام ((آل عمران، الآية 19) ويضاف إلى الله لصدوره عنه وإلى النبي لظهوره منه، وإلى الأمة لتدينهم به وانقيادهم له" (التهناوي، 1997، ص 81) وهذا يبين أن الدين يرشد إلى الحق في الاعتقادات والى بلوغ الخير في كل سلوكيات البشر ومعاملاتهم.

التعريف الإجرائي للدين في الفكر الإسلامي:

يعد الدين في الفكر الإسلامي تصورات، إدراكات ومعتقدات يبني على أساسها المسلم نظامه في الحياة، وبفضل الالتزام بهذا النظام في الحياة تكون سعادة البشر، كما أنه يرشد إلى الحق في الاعتقادات، والى بلوغ الخير في كل سلوكيات البشر ومعاملاتهم، وهو بذلك نظام يعتقد به الفرد ويمارسه في سلوكه مع الآخرين، وتحدد ضوابطه في المجتمع عن طريق الشريعة الإسلامية.

والتجربة التي تصاحب المشاعر الدينية هي دائما في ارتباط مع تجربة الانضمام إلى جماعات مميزة لما تحتويه من تراث وقواعد وقيم خاصة مستمدة من التماسك الاجتماعي من جهة أخرى.

3. وظائف الطقوس الدينية :

إن أي معتقد ديني يفرز طقوسه الخاصة بالحدث الذي أطلق هذا المعتقد، وثبته كواقعة تاريخية، وأكثر ما يظهر ذلك في الدين التوحيدي السماوي الذي يحفظ الحدث بتكراره السنوي باعتباره من جملة معتقداته الدينية، ففي المسيحية ثمة احتفالات بمناسبة ميلاد المسيح مفعمة بالفرح ترافق المراحل المتدرجة التي مرت بها فترة الولادة، تبدأ بطقوس محددة من شجرة الميلاد وهدايا بابا نويل إلى إقامة الصلوات باحتفالية ظاهرة تبين أهمية الحدث، باعتباره العهد الجديد للإنسانية، وكذلك الحال باحتفالية الفصح التي تدل على قيامة المسيح من الموت بعد أسبوع الآلام الذي يتكرر فيه تمثيل مشاهد العذاب والصلب، على أقرب ما يكون من الواقع الراسخ في ذاكرة المؤمنين، نتيجة التكرار الدقيق للواقعة التي أدت إلى إلقاء القبض على المسيح وتعذيبه ومن ثم صلبه، فتكون الطقوس الممثلة لهذه الوقائع، وبالدقة اللازمة، والتسلسل الناشئ عن معرفة تفاصيل الحدث هي الكفيلة بإدامة الاستمرار والاستذكار، ليبقى الحدث حيا في ذاكرة المؤمنين، وليعودوا في لحظات إحياء الطقس إلى زمن ماض، فيحسوا بأنه لا يزال حيا على أرض الواقع بالمشهد الملازم للذكرى التي لا تزال تحيا في نفوس المؤمنين (عطية، 2018، ص 68).

وإذا كان الإسلام لم يعط للطقوس الملازمة للمعتقدات التي يحتويها الاهتمام الذي أعطته المسيحية بممارستها لمعتقداتها، فذلك لأن البساطة وعدم الانقياد للبهرجة كانا منهج الإسلام وتوجه المسلمين في علاقتهم مع معتقداتهم، وبالطقوس الملازمة لها، فكانت الصلاة على وجه معلوم تحتفل بذكرى التضحية الرمزية التي قدمها إبراهيم مضحيا بالخروف بدل ابنه إسماعيل، بناء على طلب من الإله الكلي القدرة، وكانت صلاة الفطر هي المؤذن بانتهاء شهر الصوم، ما يعني ويوجب الاحتفال بذلك، وما كان يزيد عن الاحتفال بالصلاة إلا معايدة الأهل والأقرباء، مع ما يرافق العيدين من احتفالات وطقوس تقام للأطفال الفرحين والمرحبين بهما وهي احتفالات يتشاركون فيها خارج المنازل والحارات الضيقة، وذلك بالخروج إلى المتنفس العام في المدينة أو في القرى، وهنا كان على هذه الطقوس والاحتفالات أن تتغير بتوالي الأيام، وبتغير

الظروف والأحوال، وهنا لابد من التأكيد على أن نواة الاحتفالات والطقوس، بما لها من علاقة مباشرة بالدين والتشريع الديني، بقيت كما هي مع زيادة الوسائل الحديثة التي يمكن أن تستعمل في إقامة الاحتفالات.

لا تقتصر الاحتفالات والطقوس المرافقة لها على تأمين استمرار المعتقدات الدينية وترسيخها في أذهان المؤمنين، أو على إظهار طقوسها أمام الأغيار لإثبات الوجود فحسب، بل هي بالإضافة إلى ذلك الوسيلة الأساسية للتقرب بوساطتها من العالم الإلهي من المقدس المتعالي الذي يتوجب التطلع إليه بالخشوع اللازم، ذلك أن القائمين بهذه الاحتفالات والمشاركين فيها يؤمنون بأن ذلك هو وحده الكفيل بإزالة ما يلازمهم من القلق والاضطراب، في عالم يسير باستعجال على طريق مظلم لا يدرون نهايته ولا المخاطر القابعة على جانبيه، على هذا يكون الطقس مهما كان نوعه الوسيلة الفضلى لإعادة التوازن الداخلي للإنسان في عالم متقلب يحيط به، وبهذا المعنى يصير الطقس في وظيفته الدينية الوسيلة الأنجع للدفاع (طوالبي، 1988، ص 82) ولعل أهم الوسائل المتبعة لترسيخ المعتقدات الدينية، وإدامتها وإبقائها حية في نفوس المؤمنين وتأمين استمراريتها من جيل إلى جيل هي الصلاة والصوم والمشاركة في الاحتفال بالأضحية والتي لها علاقة بعملية الاتصال بالخالق، وتكرار عملية الخضوع له بالتبجيل اللازم والخضوع المطلق للمشيئة الإلهية، مهما كانت نوعية المعتقدات الممارسة، ومهما كانت الطقوس المرافقة لها، ذلك أنها كلها تتوحد في تمجيد الخالق وفي التسبيح باسمه (عطية، 2018، ص 69).

1.3 بعض المواسم الدينية في البلدان الإسلامية :

يوم عاشوراء : ويكون في اليوم العاشر من شهر محرم أول شهور السنة الهجرية الجديدة، يبدأ هذا الاحتفال في بلاد "المغرب "مباشرة بعد غروب الشمس، حيث تجمع أكوام الحطب المكونة من أغصان الشجر وبعض النباتات الشوكية، وتوضع عليه قطع من لحم القديد المخبأة من لحم عيد الأضحى، فيقوم رجال البيت بالقفز على هذه النار مكبرينا (الله أكبر) ويليهم الأطفال وحتى النساء، وتجتمع الأسر في هذه الليلة على موائد العشاء، لتناول وجبة خاصة بالمناسبة، بالإضافة إلى اجتماع النسوة والأطفال، ويبدأ الضرب على الدفوف والأداء الجماعي لعدد من الأغاني الخاصة بالمناسبة، وفي الصباح الموالي تستيقظ النسوة والبنات باكرا للاستحمام بماء البرك والآبار ويخرج الأولاد بحلة جديدة، ويتوجهون في هذه الصبيحة إلى المقابر لزيارة الموتى والتصدق على أرواحهم بالخبز والحليب والتين المجفف، وبقراءة آيات من القرآن من طرف صغار الطلبة حفظة القرآن، وإنشادهم المدائح الدينية مع مشاركة الحاضرين بترديد بعض اللازمات، أو حتى بالتمايل وتحريك الرأس دلالة على الغبطة والإنتشاء (منديب، 2010، ص ص 132- 133).

ليلة القدر : الاحتفال بليلة القدر في" مصر "هو احتفال ديني وقد اتفق علماء الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية على اتخاذ ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان للاحتفال الديني بليلة القدر، ويتخذ الاحتفال طابعا رسميا بحضور رئيس الجمهورية والإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ووزير الأوقاف وكبار الشخصيات بالدولة وعلماء الدين بمصر ومختلف البلدان العربية، ليتم في هذه الليلة تكريم كبار الشخصيات من مختلف البلدان الإسلامية والفائزين في المسابقات الدينية المختلفة، التي نظمت في الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف بهذا الشهر الكريم، أما الاحتفال الشعبي فيبدأ عقب صلاة العشاء بالمساجد المختلفة التي تكتظ بالمصلين لأداء صلاة التراويح وصلاة الفجر، ليرفع بعدها الدعاء

والابتهالات التماسا ببركة هذه الليلة التي ذكرت في القرآن أنها خير من ألف شهر، وهي ترمز لنزول الروح الأمين على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا الاحتفال مشابه لما هو موجود في المجتمعات الإسلامية الأخرى، إذ يكون الاختلاف في بعض الجزئيات البسيطة فقط (جاد الله، 2007، ص31).

عيد الأضحى : يسمى هذا العيد في بلاد المغرب" بالعيد الكبير"، ويكون في اليوم العاشر من ذي الحجة، آخر شهور السنة الهجرية الأكثر قداسة، حيث يتم فيه الحج إلى بيت الله الحرام، ويقام فيه يوم النحر الذي يعتبر سنة مؤكدة يؤديها المسلمون في جميع أنحاء المعمورة، حيث يتم الاحتفال ابتداءًا من الصبيحة بالاستحمام ولبس أجمل الثياب، وبعد أن يأخذ أرباب الأسر زينتهم يتوجهون إلى المسجد لأداء صلاة العيد وبعدها مباشرة يعودون إلى منازلهم وينتظرون أن يضحي" حاكم البلاد "بأداء هذه الشعيرة ليقوموا هم بدورهم بذلك وبعد الفراغ من ذلك تتوالى الزيارات المتبادلة بين الأسر، وزيارة المقابر للترحم على أرواح الموتى (منديب، 2010، ص ص 143-144).

المولد النبوي الشريف : تولَى ليلة ميلاد الرسول الكريم أهمية كبيرة ذلك لأن ظهوره إلى الوجود فيها جعل منها ليلة غراء عامرة بالمعاني والوعود، فمولده عليه السلام هو مولد لآخر الأنبياء والمرسلين، المبعوث للبشرية في كل زمان ومكان، لأنه الجامع لفضائل رسالاتهم كلها (فطيمة حاج عمر، 2011، ص 69) لذلك تولي المجتمعات الإسلامية أهمية بالغة لهذه المناسبة، فمثلا يتميز الاحتفال في بلاد" المغرب "بإقامة)الحضرة (وهي عبارة عن المدائح النبوية داخل الديار، وتعتبر الشموع رمزا للاحتفال وتخليدا للذكرى، حيث تأخذ شكل هياكل خشبية شبيهة بشكل الهودج المزخرف بألوان زاهية وأحجام مختلفة فيجوبون جميع أنحاء المدينة ويتبع ذلك حفظة القرآن من الأطفال ويليهم كبار السن، ثم وراءهم حاملوا البخور ومرشات ماء الزهر، متبوعين بحاملي الشموع المشكلة والمزخرفة ويقومون بأداء بعض الخطوات الراقصة على وقع الطبول، ثم يليهم حاملي التمر والحنة في الأواني المخصصة لهم، رمزا للخير والرخاء، وينتهي الموكب بمشاركة الحرفيين والمبدعين في الصناعات التقليدية المغربية بعرض نماذج من منتجاتهم المختلفة، مثل الجلود، الأخشاب، السجاد والملابس التقليدية وغيرها، تبركا بهذه المناسبة، لإضفاء الخير والبركة على هذه الصناعات ومنتجاتها المختلفة (جاد الله، 2007، ص.ص42-44).

كان هذا نموذج عن الاحتفال بالمولد في أحد البلاد الإسلامية العربية وهو المغرب، الذي له بعض الطقوس المشابهة له في بعض المدن الجزائرية، ويمكننا بذلك القول أن الاحتفالات في البلاد الإسلامية لا تزال تحافظ على خصوصيتها وطابعها الروحي، وان كانت هناك اختلافات في العادات والشعائر والطقوس بين هذه البلدان، التي تضفي الخصوصية الثقافية لكل بلد وتميزه عن باقي البلدان.

4. التماسك الاجتماعي :

تعريف التماسك :

التماسك لغة:

مشتق من الفعل مسك، يمسك مسكا : أخذ به وتعلق به (جبران مسعود، 2001 ،ص 160)، مسك بالشيء وأمسك به وتمسك وتماسك واستمسك ومسك كله :احتبس وأمسكت بالشيء وتمسكت به واستمسكت به وامتسكت كله : بمعنى اعتصمت (ابن منظور، 1414، ص 555).

التماسك اصطلاحا :

هو عملية اجتماعية تؤدي إلى تدعيم البناء الاجتماعي وترابط أجزائه، وتعمل على توحيد الجماعات المختلفة عن طريق عدة روابط وعلاقات اجتماعية مثل :التوافق، التضامن، التعاون، التآلف، التكافل... (عواج، 2001، ص112).

مفهوم التماسك الاجتماعي :

لقد تعددت تعريفات مفهوم التماسك الاجتماعي بتعدد وتباين ايديولوجيات الباحثين والمختصين، إلاَّ أنها اتفقت في مجملها على أنه يستعمل في وصف الحالات التي يرتبط فيها الأفراد بروابط اجتماعية وحضارية مشتركة، وخاصة الجماعات الصغيرة وهذا ما أدى إلى تعدد مسمياته بين التماسكية، التضامن الاجتماعي، الترابط وغيرها، ومن بين هذه التعريفات، نجد تعريف " أتزيوني" الذي ركز في تعريفه لمفهوم التماسك الاجتماعي على تلك الصورة المقنعة كعلاقة تعبيرية إيجابية بين اثنين أو أكثر من الفاعلين" (الجوهري، 1998، ص99) حيث يقر بأنَّ المعايير المشتركة وحدها تحدد أو تعين شروط العلاقة بين أفراد الجماعة.

أما " إميل دوركايم " فقد تطرق في تجربته عن الانتحار إلى مفهوم التماسك الاجتماعي من خلال تعرضه لمفهوم التضامن الاجتماعي في كتابيه " تقسيم العمل " و" العمل الانتحاري"؛ حيث يؤكد على أن التماسك صفة للجماعات والتنظيمات والمجتمعات، وأنه " يوجد نموذجان من الاتفاق يؤديان إلى التماسك الاجتماعي"(إيميل دوركايم، www.google.com)، الأول النموذج البدائي أو ما يسمى بـ" التضامن الآلي"، والذي يعتمد على قاعدة الضمير الجمعي، أما الثاني والحديث فهو " التضامن العضوي" والقائم على الاعتماد المهني المتبادل في المجتمعات ذات التنظيم الأخلاقي (جوردون، 2000، ص416)، وبهذا يكون دوركايم قد ركز على التضامن الاجتماعي والأخلاقي من خلال اندماج الأفراد في مجموعات اجتماعية لتنظيم حياتهم وفق القي والعادات المشتركة.

أما محمود سليمان العميان فيرى أنه " يشير إلى درجة التقارب والتماسك في العلاقات بين أفراد الجماعة"؛ حيث يرى أنه في حالة التماسك القوي فإن أفراد الجماعة يكون لديهم دافع الاستمرار في الجماعة، بينما في حالة الترابط والتماسك الضعيفة يميل الأفراد إلى ترك الجماعة " (محمود العميان، 2005، ص191).

ويعرف حسين حريم التماسك أنه يعني " ترابط أفراد الجماعة وتوحدهم، واستعداد كل منهم بمساعدة الآخر، ويشير المصطلح إلى درجة الترابط والتقارب في الأهداف والسلوك والاتجاهات بين الأفراد ومدى انجذاب الأعضاء لبعضهم البعض واستعداد كل منهم لمساعدة ومؤازرة الغير، مدى شعور الأفراد (نحن) بمدى الولاء والتلاحم والتكاتف بين أفراد الجماعة " (حريم، 2004، ص.ص166-167).

أما ناصر العديلي فإنه يقصد بتماسك الجماعة: " وجود الروابط القوية والاتجاهات الإيجابية والتلاحم السليم في السلوك لتحقيق الأهداف المشتركة، ويضيف أن التماسك يشمل أيضا على التفاهم السليم والتعاون والتبادل الهادف لكي تقوم هذه الجماعة بأدوارها المطلوبة على أحسن وجه " (العديلي، 1995، ص284).

وبناء على هذه التعريفات، يبدو جليا أنه رغم وجود تباينات بين هذه التعريفات حول مفهوم التماسك الاجتماعي، إلاَّ أنها تقاطعت في جملة من الخصائص شكلت في مجملها أبعاد هذا المفهوم، يمكن من خلالها القول بأن التماسك الاجتماعي: " يعبر عن التقارب والارتباط بين أعضاء الجماعة، وتمسكهم بمعاييرها المشتركة، حتى تضمن لهم الرضا والرغبة في البقاء".

5 – الرمزية الدينية كآلية فاعلة في تحقيق التماسك الاجتماعي :

يحتاج أي مجتمع من المجتمعات إلى مستوى ملائم من التماسك الاجتماعي، وذلك حتى يتمكن من تطوير النظم الاجتماعية، التي تسعى لإشباع الحاجات الأساسية للبشر أعضاء المجتمع، وهو ما يعني أن التماسك الاجتماعي له وظيفة بنائية، بالإضافة إلى ذلك فإن للتماسك الاجتماعي وظيفة دينامية تتمثل في تيسير الظروف التي تساعد على إنجاز العمليات الأساسية اللازمة لاستمرار المجتمع، كعمليات التنشئة الاجتماعية إضافة إلى عمليات التعاون والتكيف والإنتاج والتغير الاجتماعي، في مقابل تقليص الظروف التي قد تساعد على تفجر الصراع وانهيار التماسك الاجتماعي، وفي هذه الحالة فإننا ندرك التماسك الاجتماعي باعتباره يعني امتلاك المجتمع لدرجة عالية من التكامل والاستقرار الاجتماعي، واستمرار أو دوام هذه الحالة لفترة طويلة من الزمن.

وحتى يتحقق التماسك الاجتماعي فإن المجتمع يحتاج إلى فاعلية آليات أو متغيرات عديدة أبرزها الدين، الذي يتولى بامتياز إشباع حاجة المجتمع إلى التماسك الاجتماعي، سواء كان الدين صادرا عن قوى ما وراء الطبيعة، أي الله، ومن ثم نجده يعمل باتجاه تشكيل مجتمع متماسك على قاعدة من المعاني الدينية، أو كان الدين —كم هي الحال في الديانات البدائية– تعبيرا عن معاني طورها المجتمع، وأفرد لها مكانة سامية من خلال ربطها بالأسلاف والتواتم التي يقدسها المجتمع، وفي الحالتين نجد تطابقا أو تماهيا متبادلا بين الدين والمجتمع، بحيث يصبح الاثنان وجهين لعملة واحدة، تأكيدا لذلك أنه إذا كان المجتمع له وجوده المادي الذي يجسد معاني الدين، فإن الدين له وجوده المعنوي المجرد الذي يسعى إلى تشكيل التنظيم الاجتماعي للمجتمع، وهو ما يعني أنه حينما نؤكد على حاجة المجتمع إلى الدين فإننا بذلك نطلب إلتقاء المعنوي المجرد، مع الواقعي المتجسد في وحدة واحدة (ليلة، 2015، ص64).

استناداً إلى ذلك فإننا نجد أن الدين يشبع حاجة المجتمع إلى التماسك الاجتماعي حتى يصبح المجتمع قويا يقوم بوظائفه الأخرى من خلال بعض المستويات، منها المستوى الرمزي حيث نجد أن الدين يتشكل في جوانب كثيرة منه من الرموز، أو الأبنية الرمزية التي تستقر سلوكيات البشر وعواطفهم ومشاعرهم، تجاه تقديس موضوعات معينة يتعامل معها البشر بقدر واضح من التوقير والتبجيل، بحيث نجد أن هذه الرمزية الدينية تلعب دورها في ضبط التفاعل الاجتماعي في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية في المجتمع، في هذا الإطار فإننا نجد أن المعاني المتضمنة في الرمزية الدينية تشكل الخيوط القوية غير المحسوسة التي تلعب دورا أساسيا في ربط أجزاء المجتمع ببعضه البعض، حتى يتحقق التماسك الاجتماعي قويا، إضافة إلى ربط المجتمع الواقعي بالقوى العلوية أو السماوية، حتى يصبح التماسك أقوى بفاعلية العواطف المرتبطة بقوى ما وراء

الطبيعة، وفي هذا النطاق فإننا نجد بفاعلية العواطف المرتبطة بقوى ما وراء الطبيعة، وفي هذا النطاق فإننا نجد أنه كلما أصبح البشر أكثر إيمانا كلما اصبح المجتمع أكثر تماسكا.

ويتمثل المستوى الثاني الذي يشبع فيه الدين حاجة المجتمع إلى التماسك الاجتماعي، في دور الدين في الحفاظ على هذا التماسك، باعتبار منظومة القيم الدينية التي تتسرب من خلال ثقافة المجتمع، أو التي تعمل مباشرة على ضبط التفاعل الاجتماعي، وهو ما يعني أن الدين يسعى في هذه الحالة إلى تأكيد التكامل والتماسك الاجتماعي، إما من خلال الوجود الرمزي المباشر لقيم الدين والثقافة في فضاء المجتمع لتوجيه سلوكيات البشر، أو تحول هذه القيم إلى تقاليد ومعايير وأعراف تراقب هذه السلوكيات في مختلف المجالات، وإذا كان الدين يشكل قاعدة الثقافة فإن قيمه ومبادئه تتسرب في المجتمع من خلال الثقافة، بحيث تؤدي القيم الدينية فاعليتها في ضبط التفاعل الاجتماعي لتأكيد التماسك الاجتماعي، وعلى هذا النحو تشكل قيم الدين والثقافة الموجهات الرمزية التي تضبط أداء النظم الاجتماعية، إضافة إلى توجيه وظائف النظم الاجتماعية بما يحقق التماسك الاجتماعي للمجتمع (ليلة، 2015، ص65).

إلى جانب ذلك يؤدي الدين وظيفة تقديم الدعم والطاقة للمجتمع في أوقات الأزمات، فإلى جانب أن الدين يتولى تصريف التوترات المختزنة في بنية المجتمع، فإن منظومات القيم الدينية تؤكد لديه الإيجابية والخيرية التي تساعده في الخروج من الأزمات قويا ومتماسكا، إضافة إلى ذلك فإنه في حالة مواجهة المجتمع للانهيار، فإن الدين يصبح آلية لتغيير المجتمع القائم، وتأسيس مجتمع جديد أكثر تماسكا وتكاملاً، ويمتلك امكانيات الاستقرار.

5-1 المواسم الدينية مرجعية لتأكيد التماسك الاجتماعي :

يسيطر الدين على سلوكيات البشر من خلال وجوده الرمزي في فضاء المجتمع وكذا من خلال تشكيله للضمائر الفردية لتدفع الفرد باتجاه إنجاز سلوكيات تؤكد التماسك الاجتماعي ولا تضر به، ولذلك يعرف أنتوني جدنز الدين" بأنه الإيمان بقوة علوية سامية تأمر الناس بقيم أخلاقية وأنماط سلوكية معينة، وتبشرهم أو تنذرهم بحياة أخرى (جدنز، 2005، ص 569)، بحيث يصنف هذا التعريف عناصر الحياة "الآخرة " باعتبارها عنصرا حاضرا في الدين، إلى جانب ذلك يعرف براين تيرنر *Bryan s. Turner* الدين باعتباره نسقا من الرموز والقيم، التي تربط البشر ببعضهم البعض، بواسط تأثيرها العاطفي باعتبارهم ينتمون إلى جماعة أو مجتمع مقدس، إضافة إلى أنه يعمل على تأكيد التزامهم المعياري والإيثاري، بالسعي لتحقيق غايات جمعية مشتركة (*Turner, vol38, pp342-358*) بحيث يحدد هذا التعريف رمزية المواسم الدينية، التي تلعب دورا أساسيا في تأسيس أفراد مجتمع متماسك ومتضامن، والذين يسعون لتحقيق غايات مشتركة يحددها الدين في وثائقه الأساسية، وبالتالي تؤسس تلك المواسم الدينية مجتمعا يستند إلى ممارسات الطقوس الجمعية، إضافة إلى الارتباط بعقيدة مشتركة، وبذلك تتضمن رموزا قوية ذات علاقة بالحياة الاجتماعية للبشر والوجود الإنساني، وتؤسس لما يسمى بالخبرة المشتركة بين أعضاء الجماعة، ولذلك عرف هاري جونسون *Harry M. Johnson* الدين باعتباره نسقا يمتلك درجة من التماسك بين المعتقدات والممارسات المتعلقة بالمكانة السامية لبعض الكائنات والقوى والأماكن والذوات الأخرى، وأن هذا النسق يتضمن معاني عديدة على اتباع الديانة ضرورة الوفاء بها في حياتهم الخاصة والعامة (*Harry M. Johnson, 1964, p392*).

بالإضافة إلى ذلك يرشدنا عالم الأنثروبولوجيا الشهير رادكليف براون حين تكلم عن الدين وعن ممارسة طقوسه إلى أن تلك الممارسات هي " التعبير عن الإحساس بالاعتماد على قوة خارج ذواتنا، ويمكن وصفها باعتبارها ذات طبيعة روحية وأخلاقية، ويتم التعبير عن الاعتماد على القوى الغيبية من خلال الطقوس الدينية، التي يتم من خلالها تقديس هذه القوى وتأكيد الخضوع لها والتوسل إليها، طلبا للعفو والمغفرة أو النجاح والسداد أو البركة والدعم" (*Harry M. Johnson,1964, p396*) بحيث يؤكد بكلامه هذا على تبجيل المؤمنين لتلك الممارسات الدينية المرتبطة بقوى مقدسة والتي تعيش خارج ذواتنا، وأن ممارسة تلك الطقوس هي وسيلتنا للتقرب من هذه القوى للاستجابة لمطالبنا، وهذا ما أشار إليه إميل دوركايم حين قال: " الدين نسقا متماسكا من المعتقدات والممارسات المتصلة بالموضوعات المقدسة البعيدة عنا، بحيث تشكل هذه المعتقدات والممارسات من المؤمنين بها، جماعة أخلاقية أو دينية واحدة "(*Bilton, Tony and Others,1981, p514*) حيث يشير إلى دور المواسم الدينية في تأكيد هوية الجماعة المؤمنة بالدين باعتبارها جماعة دينية وأخلاقية متماسكة، وهذا ما ذهب إليه ماكس فيبر من أن الدين باعتباره بناء تلعب فيه المعاني الصادرة عن القوى الغيبية دورا أساسيا في تشكيل العالم الإنساني وتنظيمه، وأن النبوة وجماعة المؤمنين هم الوسيلة لتجسيد معاني الدين واقعيا (ليلة، 2005، ص 261)، بحيث يبرز هذا الكلام مكانة النبوة في الدين، إضافة إلى أن الدين يتولى تغيير المجتمع وإعادة تشكيلة، ليصبح مجتمعا دينيا وأخلاقيا فاعلاً ومتماسكا، فالجماعة المؤمنة أو المجتمع المؤمن يلعب الدين دورا أساسيا في تماسكه وتكامله، والذي يقوم أعضاؤه بالطقوس والممارسات، التي تشير إلى تبنيهم للمعاني الدينية، التي تؤكد على طاعتهم لله، الذي صدرت عنه هذه المعاني الدينية، والذين تستنفر فيهم الرمزية الدينية معان وعواطف ومشاعر دينية تجاه موضوعات دينية مقدسة، وفي هذا الإطار فإننا نلاحظ بعدين أساسيين الأول تماسك بناء النسق الديني ذاته، بحيث نجد أن لكل مكون من مكوناته وظيفة أساسية تدعم هذا التماسك، بينما يشير البعد الثاني إلى انعكاس تماسك نسق الدين على تماسك بناء المجتمع الواقعي الذي يضم الأعضاء المؤمنين، وربط هذا المجتمع بقوى ما وراء الطبيعة من خلال بعدين، البعد الأول يتمثل في العبادات التي على أساسها يتم التعامل مع قوى ما وراء الطبيعة، ويتحدد البعد الثاني بالمعاملات التي تنظم حياة البشر في نطاق الطبيعة والمجتمع.

خاتمة :

من خلال التحليل السابق يمكننا القول بأن للمواسم الدينية دور هام في ترابط أفراد المجتمع واستمراريته من خلال تكرار وإحياء هذه المواسم كل سنة ومن خلال الاحتفالات بالبعض منها والتي تعد ظاهرة اجتماعية ثقافية وكذا تربوية تؤثر بصفة عامة على أفراد المجتمع وارتباطها القوي بالبناء الاجتماعي له وتعمل على الحفاظ على قيم المجتمع من خلال التمسك بإحياء هذه المواسم وكذا بالتقاليد المشتركة بين الأفراد من خلال تفاعلهم المشترك في الشعائر والطقوس ذات الدلالات الدينية والتربوية فإذا حصل ترابط في الأسرة الواحدة فهذا سينعكس بالضرورة على المجتمع الأكبر ولا يتم هذا طبعا إلا بالتواصل أولا داخل أفراد الأسرة التي تدعم الحوار والتضامن بينهم والذي بدوره ينعكس على الأقارب من خلال تبادل الزيارات، وثانيا تحسين العلاقات عموما بين أفراد المجتمع ككل، ومنه ندرك جيدا قيمة هذه المواسم الدينية في مجتمعنا التي تعكس المودة والتراحم والتضامن والتواصل الموجود بين أفراد المجتمع وخصوصا في المواسم التي تقام فيها الاحتفالات وتظهر فيها مراسيم البهجة والسرور.

واستناداً على ما سبق يتبين لنا أن التماسك الاجتماعي يرتكز أساسا على العيش المشترك داخل المجتمع، وأن المواسم الدينية هي العمود الفقري لتماسك الافراد والجماعات داخل هذا المجتمع، وهي أقوى الروابط الاجتماعية ولها مكانة خاصة حيث تعتبر مصدر أمان وطمأنينة، ولذلك أكد ابن خلدون على ضرورة الاجتماع الإنساني، أي حياة الجماعة وما ينشأ بينهم من علاقات اجتماعية متبادلة، حيث أن الفرد لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الآخرين، فالحياة الاجتماعية تقوم على أساس التفاعل بين أفرادها كما أن كيان الجماعة وتماسكها يعتمد على شكل التفاعل بين أفرادها وأن تقدم المجتمع أو تخلفه مرتبط بفاعلية الجماعة ونمط الاتصال فيها، الذي يشكل في النهاية العلاقات التي تسهم في البناء الاجتماعي.

المصادر والمراجع

ابن منظور. (1414هـ). لسان العرب. ط3. بيروت. دار صادر. لبنان.

إميل دوركايم. التماسك الاجتماعي والقواعد الأخلاقية : آفاق استراتيجية www.google.com

أنتوني جدنز. (2005). علم الاجتماع. ط4. تر: فايز الصياغ. المنظمة العربية للترجمة. مؤسسة ترجمان.

التهناوي. (1997). كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. ج1. مكتبة لبنان. بيروت.

جان بول ويليم. (2001). الأديان في علم الاجتماع. ترجمة: بسمة علي بدران. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان.

جبران مسعود. (2001) معجم الرائد. ط8. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان.

حسن حنفي. (1998). في الثقافة السياسية. آراء حول أزمة الفكر والممارسة في الوطن العربي. منشورات دار علاء الدين. دمشق. سوريا.

حسين حريم. (2004). السلوك التنظيمي. سلوك الأفراد والجماعات في منظمات الأعمال. دار الحامد. الأردن.

حسين عبد الحميد أحمد رشوان. (2012). علم الاجتماع النفسي. ط1. مؤسسة شباب الجامعة. مصر.

الصديق ثياقة. (2014). المقدس والقبيلة الممارسة الإحتفالية لدى المجتمعات القصورية بالجنوب الغربي الجزائري. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه. قسم علم الإجتماع. جامعة وهران. الجزائر.

طارق كمال. (2009). أساسيات في علم الاجتماع الديني. مؤسسة شباب الجامعة. الإسكندرية. مصر.

عاطف عطية. (2018). في الثقافة الشعبية العربية المعتقدات في التقاليد والعادات. جروس برس ناشرون. لبنان.

عبد الغني منديب. (2010). الدين والمجتمع. دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب. دار إفريقيا الشرق. المغرب.

عبدالهادي الجوهري. (1998). قاموس علم الاجتماع. ط2. المكتب الجامعي الحديث. الإسكندرية. مصر.

علي ليلة. (2005). النظرية الاجتماعية الحديثة. الأنساق الكلاسيكية. ط4. المكتبة المصرية للطبع والنشر والتوزيع. مصر.

علي ليلة. (2015). النظرية الاجتماعية وقضايا المجتمع. مكتبة الأنجلو المصرية. مصر.

فطيمة حاج عمر. (2011). التماسك الإجتماعي والإحتفالية الدينية في الوسط النسوي. مذكرة لنيل شهادة الماجستير. قسم علم الإجتماع. المركز الجامعي بغرداية. الجزائر.

كميلية عواج. (2001). التطرف الديني وأثره على التماسك الأسري. مذكرة لنيل شهادة الماجستير. قسم علم الإجتماع. جامعة باتنة. الجزائر.

مارشال جوردون. (2000). موسوعة علم الاجتماع. ط1. تر : محمد الجوهري وآخرون. مجلد1.

محمد عبد الله دراز. (1952). الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان. دار القلم. الكويت.

محمود سليمان العميان. (2005). السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال. دار وائل للنشر والتوزيع. الأردن.

منال جاد الله. (2007). سلبيات وإيجابيات الممارسات والإحتفالات الدينية. دراسة أنثروبولوجية. الجلال للطباعة. مصر.

المنجد في اللغة والأعلام. (1997). ط 36. دار المشرق. بيروت.

ناصر محمد العديلي. (1995). السلوك الإنساني والتنظيم. منظور كلي مقارن. معهد الإدارة العامة. الرياض.

نبيل محمد توفيق السامالوطي. (1981). الدين والبناء الاجتماعي. ج2. ط1. دار الشروق. جدة.

نور الدين طوالبي. (1988). الدين والطقوس والتغيرات في الجزائر. ط1. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.

Bilton,Tony and Others(1981) ,Introductory Sociology,Macmillam.

Durkheim, Emile,(2014), Les formes élémentaires de la vie religieuse. Le système totémique en Australie, (1912),paris, éd CNRS. « Biblis ».

Johnson,H. M ,(1964),Sociology A Systematic Introduction,Routledge and Kegan Paul, London.

Turner ,B.S ,Chass Solidarity and Sytem Integration ,Sociological analysis,vol 38.